خـــزانة الرءوس

فى دار الخلافة العباسية ببغداد

للأســـتاذ ميخائيل عواد

[تتمـــة]

٩ — تغريق الرءوس فى دجلة

رأس على[1] بن محمد بن الفرات ، رأس الحسن بن على بن محمد الفرات

كان بنو الفرات الوزراء ، زينة الدولة العباسية خاصة فى أيام المقتدر ، فقد تقلد على بن الفرات الوزارة ثلاث مرات ، وكاد يتقلدها رابعة . وكان واسع الثروة حتى قال الصولى فى حقه وكان شاهداً ومشرفاً على أخباره : « ما سمعنا بوزير جلس فى الوزارة ، وهو يملك من العين والورق والضياع والأثاث ما يحيط بعشرة آلاف ألف غير ابن الفرات »[2] ؛ ومع ذلك كله لم يكن ليتحرج أو يتهيب من مد يده إلى خزانة الدولة ، حتى أفرط فى الأمر هو وابنه الحسن وأخوه العباس ، فأضافوا كثيراً من ضياع السلطان إلى أملاكهم . وقد ساق هلال الصابئ خبراً غريباً مؤداه أن على بن الفرات « سَرَقَ فى عشر خطوات سبعمائة ألف دينار »[3] ، ففتحت هذه الأمور وغيرها عليه وعلى أهله وأصحابه باب الظن والضغينة من أعدائه وحساده ، فحركوا قلب المقتدر عليه ، حتى نكبه غير مرة ، وفى النهاية قضى عليه وعلى ابنه المحسّن ، وشملت نكبة شمل عائلته ، ونكب أصحابه وأعوانه . قال عريب فى صفة مقتلهما : « ... فأمر المقتدر بقتل ابن الفرات وابنه ، وتقدم إلى نازوك بأن يضرب أعناقهما فى الدار التى كانت لابن الفرات ويوجه إليه برأسيهما ، فنفذ ذلك من وقته ، وبعث بالرأسين فى سفط ، ثم رُدَّ السَّفَط إلى شفيع اللؤلؤى ، فوضع الرأسَيْن فى مخلاة وثقّلهما بالرمل وغرقهما فى دجلة »[4]

(١) أخباره المسهبة فى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء لهلال الصابئ (ص ٨ — ٢٦٠ ؛ طبعة آمدروز) ، المنتظم (٦ : ١٩٠ — ١٩٢ ، حوادث سنة ٣١٢هـ) وفيات الأعيان (١ : ٥٣٠ — ٥٣٤ ؛ طبعة بولاق الأولى)

(٢) صلة الطبرى (ص ٣٧) (٣) تحفة الأمراء (ص ١١٧)

(٤) (صلة الطبرى ص ١٢١ حوادث سنة ٣١٢هـ)

١٠ — صيانة الرءوس من التلف

كان الرسم عند إحضار الرأس إلى دار الخلافة ، أن يُسَلَّم إلى الوكل ، فيعمل هذا على غسله وتنظيفه وإصلاحه ، فيفرّغ منه المخ ، ويستأصل كل الأعضاء القابلة للفساد ، ثم يغسله ببعض الأدوية المقمة المعروفة بومذاك ، وكذلك بماء الطيب أو بماء الورد ؛ حتى إذا فرغ من هذا كله ، يحشيه بالقطن المخلوط بمواد مختلفة من شأنها إطالة بقاء الرأس ، ثم يطليه من خارجه ببعض الأطلية الماسكة لأجزائه .

ودنك رأى طبيب بهذا الشأن ، كان عائشاً فى حدود سنة ٣٠٥هـ ، وهو المعروف بابن حمدان الطبيب الذى حكى : « أُدْخِلتُ على أبى الفضل[1] ، فوجدت بين يديه أطباقاً عليها رءوس جماعة ؛ فسَجدْتُ له كعادتهم والناس حوله قيام وفيهم أبو طاهر[2] ، فقال لأبى طاهر : إن الملوك لم تزل تعد الرءوس

(١) هو أبو الفضل المجوسى . وقد ذكر خبره ابن حمدان الطبيب فى سياق كلامه على القرامطة . وإليك بعض أخباره الغريبة الجديرة بالذكر . قال : « أقمت بالقطيف أعالج مريضاً ، فقال لى رجل : أظنر ما يقول الناس ، يقولون إن ربهم قد ظهر . فخرجت فاذا الناس يهرعون إلى أن أتينا دار أبى طاهر سليمان القرمطى ، فاذا بغلام حسن الوجه درى اللون ، خفيف العارضين ، له نحو عشرين سنة ، وعليه عمامة صفراء تميم العجم ، وعليه ثوب أصفر ، وفى وسطه منديل ، وهو راكب فرساً شهباء ، اسمه أبو الفضل المجوسى ، والناس قيام ، وأبو طاهر القرمطى وأخوته حوله ، فصاح أبو طاهر بأعلى صوته : يا معشر الناس من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أبو طاهر سليمان بن الحسن . اعلموا : إنا كنا وإياكم حمير ، وقد من الله علينا بهذا (وأشار إلى الغلام) هذا ربى وربكم والهى والهكم وكلا عباده ، والأمر إليه ، وهو ملكنا كلنا . ثم أخذ هو والجماعة التراب ووضعوه على رءوسهم ، ثم قال أبو طاهر : اعلموا يا معشر الناس أن الدين قد ظهر ، وهو دين أبينا آدم ، وكل دين كنا عليه فهو باطل ، وجميع ما توصلت به الدعاة إليكم فهو باطل وزور من ذكر موسى وعيسى ومحمد ، إنما الدين دين آدم الأول ، وهؤلاء كلهم دجالون محتالون . وكان أبو الفضل المجوسى — يعنى الغلام الأمرد — قد سن لهم اللواط ونكاح الأخوات ، وأمر بقتل الأمرد الممتنع . وكان أبو طاهر ليطوف هو والناس مرة به ويقولون : (إلهنا عز وجل) » تجارب الأمم (٦ : ٥٧ — ٥٨ فى الحاشية ، نقلا عن تاريخ الاسلام)

(٢) أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى

فى خزائنها فسلوه — وأشار إلىّ — كيف الحيلة فى بقائها بغير تغيير ، فسألنى أبو طاهر فقلتُ : إلهنا[1] أعلم ويعلم إنّ هذا الأمر ما علمته ؛ ولكن أقول على التقدير إن جملة الإنسان إذا مات يحتاج إلى كذا وكذا صبر[2] وكافور[3] والرأس جزء من الإنسان فيؤخذ بحسابه فقال أبو الفضل ما أحسن ما قال »[4]

وبهذه المواد والأطلية ، كان طُلى جسم وصيف الخادم حيث بقى مدة طويلة دون أن يعتريه الفساد والبِلَى . قال المسعودى : « وفى أول يوم من المحرم وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين توفى وصيف الخادم وأُخرج وصُلِب على الجسر بدناً بلا رأس . . . وطُلى بدنه بالصبر وغيره من الأطلية القابضة الماسكة لأجزاء جسمه ، فأقام مصلوباً على الجسر لا يَبْلى إلى سنة ثلاثمائة فى خلافة المقتدر بالله أو نحو هذه السنة . . . »[1]

(١) يقصد بالهنا : أبا الفضل المجوسى

(٢) أنظر المعتمد فى الأدوية المفردة : السلطان الملك المظفر يوسف ابن عمر بن على رسولا الغسانى صاحب اليمن (ص ١٩٥ — ١٩٦ ؛ طبعة البابى الحلبى)

(٣) المعتمد فى الأدوية (ص ٢٢٩ — ٢٨١)

(٤) تجارب الأمم (٦ : ٥٨ — فى الحاشية — ؛ نقلا من تاريخ الاسلام)

الخاتمة

يبدو لنا من تتبع هذا الموضوع أن اتخاذ خزانة الرءوس فى دار الخلافة ببغداد ، كان فى صدر الدولة العباسية ، غير أننا لم نتحقق من السنة التى بدأوا فيها بحفظ الرءوس .

وما قلناه عن بدء أمر الخزانة ؛ نقوله فى تعيين زوال ظلها ، فإن التاريخ يحيلنا إلى سقوط بغداد فى سنة ٦٥٦ للهجرة ؛ أفلا تكون خزانة الرءوس هذه قد ذهبت بذهاب بغداد ودار خلافتها ؟

(بغداد) ميخائيل عواد

(١) مروج الذهب (٨ : ٢٠٢ — ٢٠٣)

عايـــده

الفيلم الغنائى الطامل الذى تجلت فيه مواهب أنبغ نجوم السينما

تطربكم وتشجيكم بصـــوتها الساحر

أم كلثـــوم

بالاشتراك مع : فتحية أحمد — سليمان نجيب — عباس فارس — إبراهيم حموده — عبد الغنى السيد منسى فهمى — عبد الوارث عسر — محمود رضا — فؤاد الرشيدى — حسن كامل — يحيى شاهين عثمان عبد الرحمن أباظه — عبد الرحمن حمدى — فرج النحاس — رياض القصبجى — محمود إسماعيل إدمون تويما — فردوس حسن — نجمه ابراهيم — مارى منيب — ساميه فهمى — آمال زايد

المخرج : أحمد بدرخان — المصور : محمد عبد العظيم

بسينما ستوديو مصر ٢٨ ديسمبر والأيام التاليـــة